الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1152
2023/7/25

لوحة عالمية

نعمان حرب وأدب المهجر

أول الكلام

(بعبع التجديد ...)..

▪ ديب علي حسن

يقول الشاعر العربي القديم: (لكل جديد لذة) ....

ومن بعده قال أبو القاسم الشابي : ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر..

التهيب من كل جديد يلازم الإنسان دائماً وأبداً ..ولكن لابد من الجديد الذي يطور الحياة ..

والإبداع في الأدب هو النسغ وهو النضارة ومن باب الرؤيا كان ميخائيل نعيمة قد كتب في(المراحل) قائلاً: ما عرفت لغة ولا سمعت بأمة قط قضت عليهما الفوضى بيد أني أعرف لغات تفككت أواصرها وأسمع بأمم طمست آثارها وأدركتها سكتة الموت عندما تحول دم الحياة في عروقها ماء فانحلت أعصابها وانفرطت أجزاؤها انفراط عقد قطع سلكه.

أما ما ندعوه فوضى فبدلاً من أن يكون نذير الانحلال فهو في نظري بشير الحياة إذ لا انفجار إلا حيث مواد متفجرة ولا عاصفة إلا حيث هواء ولا سيل إلا حيث سحب وماء ولا ثورة إلا حيث قلوب تنبض وعقول تفكر وعضلات تتكمش وأرواح تئن أو تحن أما حيث لا أثر لذلك فلا أثر للحياة ولا خوف من الفوضى.

لئن تشعبت اليوم مسالكنا الأدبية وتنوعت أساليبنا البيانية وكثرت هفواتنا اللغوية فلنغبط أنفسنا قائلين:(نحمد الله فإن آدابنا لا تزال فيها قوى تبحث عن مسالك وتستنبط أساليب وقوالب وما هفواتها إلا بشير لنا بأننا لم نبلغ بعد الكمال الذي بعده انحلال بل نحن سائرون في سبيل الكمال الذي لا محجات فيه ولا مراحل)...

نعم إنه بعبع التجديد كما أسماه نعيمة ولكن من هو المجدد ..أهم من تمرسوا في المشهد الإبداعي أم جيل الشباب المتوثب أم كلاهما ..؟

التبعية والاستلاب

نقش سوري

اسمي المسافر

وكانت ورداً

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

محاضرة

الشاعرات السوريات وأدب الأطفال

من مأثورنا الشعبي وأغنيات جداتنا وأمهاتنا للصغار، فرض شعر الأطفال نفسه بقوة في الساحة الأدبية كواحد من الأصناف الشعرية التي تطورت إلى مجموعات ودواوين وقصص أثرت المكتبة العربية والمناهج التعليمية.

ورغم اقتصار هذا النوع من الشعر على الشعراء العرب منذ القدم، غير أن شاعرات قليلات أثبتن وجودهن فيه وكانت الشاعرة جسماني شقرا وهي من مدينة حمص أول شاعرة عربية تقرض شعر الأطفال في مطلع القرن الماضي وديوانها روضة الأطفال الذي صدر عام ١٩٣٢، وأعاد طبعه حديثاً شاعر الطفولة بيان الصفدي باكورة شعر الطفولة في الوطن العربي.

وما يلفت النظر في ديوان شقرا موضوعات قصائدها التي تحمل جوهر القيم العليا وتنمي في الطفل حب الوطن والأم والأب والمدرسة والصناعات الوطنية.

الصفدي الذي استضاف اتحاد كتاب حمص محاضرته بعنوان المرأة وشعر الأطفال أوضح أن الأديب المعاصر رفاعة الطهطاوي رائد التربية والأدب انتبه إلى الأطفال فترجم لهم عشرات الكتب والأناشيد وكان أول من كتب نشيداً للمدارس.

ومن خلال أبحاثه ودراساته وجد الصفدي أن شعر الأطفال ظهر عند العرب في العصر الجاهلي، وهو ما كان يعرف بترقيص الأطفال وكان مجهول القائل وغالباً ما كانت تردده الأعرابيات، ثم شهد هذا الشعر انقطاعاً حتى العصر الحديث بفعل نظرة المجتمع إلى المرأة وتمجيد الذكورة حتى في شعر الأطفال.

ولكن مع نهاية القرن الثامن عشر ظهر أول نص أدبي للأطفال للأديبة العربية أمينة نجيب بعنوان العصفور ثم تتالت الانقطاعات وصولاً إلى السنوات الأخيرة، حيث شهدت الساحة السورية ظهور شاعرات مميزات يتوقع لهن التألق الحقيقي في مجال شعر الأطفال أمثال عزيزة هارون ولينا تقلا وأميرة سلامة ومها داود وثراء الرومي ورائدة الخضر وغيرهن وهو ليس بغريب على المرأة السورية وهي بنت الإرث التعليمي والفني المعاصر، فسورية لديها كتب تعليمية منذ القرن التاسع عشر وصحافة للأطفال ومسرح وغيره، ما يعزز الثقافة الأنثوية في كل المجالات وخاصة التربوية.

ولفت الصفدي إلى أن سورية تعد رائدة في شعر الأطفال على مستوى الوطن العربي بفضل الانفتاح والاحتكاك بالغرب والهجرة والمستوى التعليمي، فالكتابة للطفل هي نتاج الحالة التعليمية والمدارس يضاف إليه الاهتمام بالأطفال.

ولم يقتصر الاهتمام الأنثوي بشعر الأطفال، وإنما اتجه نحو رسوماتهم، فظهرت في سورية حديثاً عشرات الرسامات اللواتي يرسمن للأطفال وتتسابق دور النشر في الوطن العربي للتعاقد معهن، حيث أثبتن وجودهن بجدارة في هذا المجال ومنهن الرسامة الحمصية المبدعة ريما كوسا.

وعن شعر الأطفال وما يميزه من شعر الكبار يصف الصفدي شعر الأطفال بالصعب لأنه يتطلب لغة سهلة وفكرة طفولية بتراكيب ملائمة لأعمارهم مع المحافظة على الشاعرية والإقلال من الوعظ؛ أي كلمات معدودة في عوالم محدودة أو الرقص ضمن القيود كما يسميها أحد النقاد.

يذكر أن للشاعر بيان الصفدي العديد من الإصدارات في مجال أدب الأطفال وله أعمال منشورة وملحنة في أكثر من وسيلة ومن إصداراته الشعرية ديوان الطفل العربي ويطرح النخل دماً وما لا يعود وجنة صغيرة، ومن المجموعات القصصية للأطفال حكايات عربية.

ترجمت قصائده وقصصه للأطفال إلى الفرنسية والروسية ودخلت أعماله في المقررات المدرسية في بلدان عربية عديدة.

معرض

عامر الخطيب.. مسيرة فنية غنية

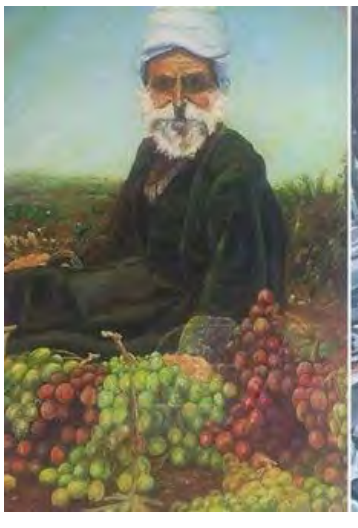

يمتلك الفنان والناقد التشكيلي عامر سليم الخطيب أسلوباً فنياً متميزاً وبصمة متفردة ومخزوناً ثقافياً وبصرياً غنياً، استطاع من خلاله تحويل الموروث السوري القديم إلى لوحات فنية في غاية الروعة والجمال.

التشكيلي الخطيب ابن قرية شعف بريف السويداء، والذي يعد أحد أعلام الحركة التشكيلية السورية والعربية المعاصرة يرى أن الفن رسالة اجتماعية وأخلاقية ووطنية تراثية وإنسانية ليس لها إطار أو حدود، وتسعى دائماً نحو مفاهيم الحب والحق والجمال، وأن المدارس الفنية ليست ملزمة للفن والإبداع بل هي قوالب ابتكرها الباحثون والنقاد.

ومن خلال ألوانه ورسمه بريشته المفعمة بالمحبة لبلده تمكن التشكيلي الخطيب من تجسيد الواقع دون تزييف، حيث يشعر كل من ينظر إلى لوحاته وألوانه بأنه يخاطبه ليوصل له مفهوماً له قيمة ومعنى، ويبدع في نقل الصورة حتى لو كانت من خياله، فترى في اللوحة أكثر من معنى وتأخذك بحرفية ودقة عالية إلى الحقيقة حتى لو كانت من نسج خياله.

وخلال مسيرته الفنية الغنية أنتج التشكيلي الخطيب عشرات اللوحات الفنية التي تعبر عن قيم الأصالة والتراث، وتؤرخ للحياة السورية عامة وتفاصيل الحياة في جبل العرب ورجالات الثورة السورية الكبرى بقيادة المجاهد سلطان باشا الأطرش، والتي عكست جزءاً من تضحيات الشعب السوري في مقارعته للاستعمار لنيل الاستقلال والحرية، وجسدت حيزاً مهماً من التاريخ السوري.

ومن أهم أعماله لوحة «فيروز» مقتناة لدى الرحابنة في لبنان ولوحة «الفلاح» التي عرضت في كلية الفنون الجميلة بدمشق، ولوحة تمثل محاكاة لأعمال بيكاسو ولوحات «صانعة الخبز» و«ولادة من تحت الركام» و«شعف قريتي» و«الرزق الحلال» و«المنهل» و«معركة المسيفرة» التي تعد إحدى أهم معارك الثورة السورية الكبرى.

كما نفذ التشكيلي الخطيب العديد من الأعمال واللوحات الجدارية، وصمم الكثير من الخلفيات للمسارح واللوحات القماشية الخلفية لنشاطات مسرح ومهرجانات الأطفال، وزينت لوحاته الجدارية مداخل عدة قرى وصمم الكثير من أغلفة الكتب الفنية والأدبية والفكرية، وله العديد من الأعمال واللوحات بالخط العربي وعشرات اللوحات الفنية المقتناة في سورية ولبنان والسعودية والإمارات وعدد من الدول الأوروبية وروسيا وجامعة الجنوب الفيدرالية.

وشارك بالعديد من المعارض الجماعية في دمشق وريفها وحلب والسويداء ودرعا ولبنان وروسيا وكلية الفنون الجميلة بدمشق، إضافة إلى مشاركته في معارض ثنائية بالمركز الثقافي في صحنايا وبلدة الكفر ومعرض ثلاثي بالفضاء الطلق في مغارة عريقة.

الفنان التشكيلي عامر الخطيب من مواليد عام ١٩٦٦ وخريج معهد أدهم اسماعيل للفنون التشكيلية بدمشق، ويحمل الإجازة في الحقوق من جامعة دمشق وهو عضو اتحاد الفنانين التشكيليين السوريين.

كتاب العدد

حسب الترتيب الهجائي

أحمد بوبس
اسمهان أحمد أحمد
ايمن المراد
بادر سيف
رنا بدري سلوم
سهير زغبور
صالح السودة
عبير البحش
عدنان شاهين
علي حبيب
علم عبد اللطيف
ناهد ابراهيم
وفاء يونس

في محاولات مواجهة الاختراق الثقافي

أيمن المراد

العولمة -حسب عدد من الباحثين- مسار وسيرورة تاريخية مركبة ومتعددة الأبعاد والأقطاب، أو هي اتجاه مستقبلي ثقيل وقوي يؤثر في جميع الأنساق في المنظومة الكونية.

كما أنها أيضاً ديناميكية موضوعية تدفع جميع المجتمعات المعاصرة -بما فيها القوى المعولمة الكبرى الرئيسية كالولايات المتحدة الأميركية-على ظهر هذا الكوكب-الوطن-على حد تعبير إدغار موران-تدفعها إلى إعادة هيكلة متعددة الأبعاد والمستويات والوتائر لقيمها وهياكلها ونظمها وقوانينها ومؤسساتها، حيث غيرت ديناميكيتها مضامين مفاهيم ومسلمات كثيرة موروثة عن قرون النهضة الصناعية وعملية التحديث الموروثة عن عهد الأنوار الأوروبية ومسلمات الدولة القومية الحديثة، مثل مفاهيم الزمان والمكان والدولة والهوية والمواطنة والديمقراطية والحدود والسيادة والاقتصاد والعمل والقيمة...الخ. حتى أضحى كثيرون يتحدثون عن أن ما يشهده العالم خلال العقود الثلاثة الأخيرة خاصة، عبارة عن مرحلة انتقالية تاريخية ومنعطف تاريخي غير مسبوق تمر به البشرية، معبرين عن ذلك: نهاية، ما بعد، بلا، عابر، متعدي، متعدد.

كما تؤدي ديناميكية العولمة إلى حدوث ردود فعل متباينة إزاءها قبولاً ورفضاً وانتقاء أي تأرجحًا بين الرفض والقبول، بحسب الموقف والمصلحة والفهم وتفاوت القدرة على التمييز بين حقائقها وأوهامها، بين جوانبها الدعائية الأيديولوجية وجوانبها الموضوعية، فانقسم المختصون بين قائل إنها جزء من استراتيجيات لقوى سياسية وعسكرية دولية كبرى، وقائل إنها تطور انتقالي نحو موجة حضارية ثالثة على حد أطروحة ألفن طوفلر ودانيال بيل وغيرهما.

يبدو أن الشمولية- في ظل العولمة الراهنة- قد لبست حلة جديدة مع محاولات الأمركة وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ومن خلال تنامي ظاهرة التركز المالي والمعرفي والإعلامي والثقافي والغذائي والدوائي،من خلال أمثلة استحواذ واحتكار وهيمنة شركات متعددة الجنسيات وبعض الميرياردیرات (نحو ٣٦٠ ميلياردیرًا) على مقدرات شعوب بمجملها مثل:الإمبراطوريات الخاصة لـ: بيل غيتس وروبيرت ميردوخ وبيرليسكوني وماكدونالد وسي.إن.إن وشركة أول-تيم ورنر ومونسونتو ولاقارديير وداسو..وخطورة تلك التركزات على مستقبل الحرية والتربية والقانون والعدالة. وخاصة أن العديد من تلك الشركات متخصصة أصلاً في قطاعات الكهرباء والإعلام الآلي وصناعة السلاح والمياه والهاتف والبناء،محولة الإعلام والتربية والتعليم إلى مجرد بضاعة وميداناً للتنافس الرأسمالي ومنه اختراق ووضع اليد على المنظومات الثقافية الأخرى. والأسئلة التي تنبت على حواشي الواقع في علاقة بالمشهد العربي:

كيف يمكن مواجهة الاختراق الثقافي الكوني في ظل راهن يتعولم اقتصادياً وسياسياً..؟ هل ندير ظهرنا لهذا الغزو ؟ كيف يمكن خلق توازنات تحمي أجيال المستقبل من مداهمات الثقافة المعولمة واختراقاتها في ظل هذه الثورة الاتصالية الوافدة من الغرب، وما يتخللها من تنميط سياسي متعدّد الوسائل والأشكال..؟

ألسنا مدعويين هنا..والآن إلى لحظة مكاشفة صادقة مع النفس لتجاوز مطباتنا وتفعيل واقعنا وعقلنة ملامح المستقبل..؟

إنّ الخوف من غزو ثقافي كوني لم يعد له مسوغ، وهو ليس من قبيل الأوهام التي تعودنا عليها، بقدر ما هو حقيقة ثابتة ومؤكّدة أملتها ظروف وملابسات تاريخية لها عميق الأثر في واقعنا العربي خاصة والدولي عامة نورد منها ما يلي:

- انهيار القطب الاشتراكي وتفكّكه وما تلاه من انهيارات متلاحقة أصابت دول المنظومة الاشتراكية ما أفضى إلى تحكّم الرأسمالية في اقتصاد الدول النامية وإخضاع هذه الأخيرة لتبعية اقتصادية موغلة في التسلط والاستغلال.

- في عالم الثقافة الكونية هذا،برزت شركات متعددة الجنسيات تستغل المصالح الاقتصادية، وهذه الشركات أقوى من الدولة حيث تفوق ميزانياتها الدخل القومي لكثير من الدول النامية، وقد ملأت الحيز الثقافي في إعلامنا واستطاعت تلوين العالم بأفكارها وثقافتها.

- اتفاقية - الجات - التي تحوّلت إلى منظمة عام ١٩٩٥ وأصبحت تبعاً لذلك ضلعاً أساسياً في مثلث الهيمنة الغربية(صندوق النقد-البنك الدولي-الجات)وهذه الاتفاقية تفسح المجال للغزو الثقافي الأميركي والغربي عامة الذي أساسه إنكار وإقصاء الثقافات القومية للشعوب الأخرى، وبالتالي أمست تشكّل تهديداً خطيراً لثقافة وتطوّر العالم النامي في كل المجالات الأخرى..

- في ظل العولمة ومع توقيع اتفاقية-الجات-أصبحت الشركات المتعددة الجنسيات ومنها-والت ديزني-أقوى من الدول بعد حدوث انفصال بين المصالح الاقتصادية العملاقة والأنظمة السياسية المحلية، وأصبحت تبعاً لذلك تمارس ضغوطاً من أجل التأثير على القرارات السياسية الداخلية في الدول التي تمارس فيها أنشطتها..

- نجاح العولمة في خلق أجيال منبهرة بالسلعة الثقافية الأميركية، الشيء الذي يهدّد بتخلّف صناعة السينما لدينا وغيرها من الصناعات الثقافية..

- إنّ لهذه المعطيات التي ذكرناها عميق الصلة بخلخلة الواقع العربي وجعله ينوس بين طرفي الإنغلاق والانفتاح دون الالتفاف حول هذا الواقع وعقلنته بما يؤسّس لاستحضار الذاكرة لدى الإنسان العربي، ولعل في قولة فلاديمير لينين خير دلالة لما نحن بصدد الإشارة إليه:«شعب بلا ذاكرة،هو شعب لا مناعة له»..

فكيف يمكن في ظل الراهن الثقافي الكوني تأكيد الذات وإثبات الهوية والمحافظة على الأصالة بما من شأنه أن يبلور الصورة الحقيقية لحضارتنا..؟

هل نحن مطالبون وأمام المد الكاسح للتكنولوجيا من جهة، والعولمة من جهة أخرى، بإعادة البناء الفكري للمجتمع عبر إحياء الماضي ومصالحة الراهن واستشراف المستقبل؟..

إنّ إقصاء الأنا..للآخر وانغلاقه على ذاته طمس للهوية الفاعلة والمؤسسة،كما أنّ الانفتاح المحافظ على الأصالة والحضارة العربية تأسيس للذات، ولذا بات لزاماً على المثقفين العرب خاصة وعلى الشعوب العربية عامة إعادة النبض إلى التاريخ، وذلك من خلال فعل المواطنة وتجذير قيم الهوية باعتماد التنمية الثقافية للمجتمع كشرط أساسي لنجاح التنمية في مجالات الحياة كافة، ثم المساهمة بشكل فعّال في بناء بعد الذاكرة العربية، والسعي لصياغة الواقع العربي الراهن وفقاً لمقاييس التقدّم قصد الانتقال من الوضع المتخلّف حضارياً،إلى الوضع المحقّق لإنسانية الإنسان..

على سبيل الخاتمة:

علينا أن ندرك أنّ النظام الدولي ليس نظاماً أحاديّاً بالرّغم من تعاظم القدرات الأميركيّة.فليس بمقدور واشنطن التحدّث باسم المجتمع الدولي الذي يبدو منقسماً أكثر من أيّ وقت مضى على أسس ثقافيّة وحضاريّة.فخلال مؤتمر عقد في جامعة Harvard عام ١٩٩٧ تمّ الكشف على أنّ أكثر المثقّفين في الصين وروسيا وأفريقيا والعالمين العربي والإسلامي ينظرون إلى واشنطن على كونها تمثّل خطراً على مجتمعاتهم.أضف إلى ذلك أنّ أكثر دول العالم ترفض التدخّل الأميركي في شؤونها الداخليّة.ولقد أشار إلى ذلك رئيس جنوب إفريقيا الراحل نلسون منديلا بقوله:لا يمكننا أن نقبل بقيام دولة ما بدور شرطي العالم.

خلاصة القول إنّ السياسة الدوليّة مرتبطة اليوم بصراع الثقافات أو أنّها تعكس هذا الصراع.الثقافة هي السلاح الوحيد المتبقّي أمام دول العالم في ظلّ نظام العولمة، فالإرث الحضاري يمنع، مثلاً،على الصين الشعبيّة وروسيا مجاراة الولايات المتّحدة في نظرتها إلى الأزمات الدوليّة، وباختصار شديد، فالنظام الدولي هو نظام أحادي ومتعدّد القطبيّة في آن معاً.

أخيراً، تبرز العولمة في سياق مفارقة تاريخيّة كبيرة.ففي الوقت الذي سمحت وسائل الإعلام التي فجّرتها ثورة الاتصالات لجميع سكّان المعمورة بالتواصل المادي عبر الحدود،بدأت المجتمعات الإنسانيّة تدرك أكثر من أيّ زمن مضى أنّ الهويّة الثقافيّة لا تكتمل إلا إذا كانت مرجعيّتها الوطن والدولة والأمّة، فإذا استطعنا الإجابة عن السؤال التاريخي: من نحن؟ لأمكننا التنبّه إلى مخاطر العولمة ومواجهتها والاستفادة منها من منطلقات إرثنا الحضاري وعلى قواعد العقلانيّة والديمقراطيّة.

التبعيَّة ومخاطر الاستلاب

عدنان شاهين

التبعيّة معادلةٌ باعتبار طرفيها، فالطرف الأقوى لا يكاد يرى الطرف الأضعف إلّا ساعة التشغيل والاستئجار، ومن هنا يبرز استعلاء المتبوع ودونيّة التابع، فبالانحناء أمام الريح تُزرع البذرة الأولى لتقمُّص شخصيّة التابع واستمراء تبعاتها.

وعلى روائز الأخلاق ليست إلّا تحرُّراً من أوليّات حياة الكائن المغلوب في ظلّ إيمان الأقوياء بتدفُّق الأخلاق من فوّهات البنادق كما يقول نعوم تشومسكي Noam Chomsky . وما إن يتجلبب التابع بعباءة التبعيّة حتى يصير من الصعب عليه أن يتفلّت من منظوماتها، وأمام تلك الظاهرة، ونتيجة لانتكاسات الأمّة العربيّة بفعل ارتهانها للغرب، بادر الكاتب حسن إبراهيم أحمد لدراسة التبعيّة باحتمالاتها في كتابه«التبعيّة - إشكاليّة السيادة المنقوصة والتنمية المعاقة «دراسة أفقيّة»» الصادر عن دار كنعان في دمشق ٢٠١٥ بجهد بارز، مستغرباً ثبات الواقع العربيّ، وتغيُّر واقع بعض الأمم التي تعيش ظروفاً مُشابهة. وعلى هذا فكلّما بقي العربيّ رهين إنتاج الآخرين، لا يخطرَنّ ببالك أنّ تغيير المواقع لعبةٌ تروق للمُهيمنين، بل يعرقلون نزوعَك حتى في مرحلة التخيُّل؛ وإن كان لا بدّ من رفع حجاب الزَّيْف فليكن لأنّ المُتغطرس تحكمه الوقاحة، والتبعيّة تلغي عامل التروّي قصد الابتعاد عن الارتكابات المُؤذية لأنّ الخداع يزيّن طريقَ الخديعة، ولعنة التبعيّة تصير وَرَماً قاتلاً عندما تُغيَّب عقولُ الجماهير عن الاستيعاب والفهم، وخلاف ذلك أي معاكسة الخصم انتصار لحزمة الأخلاق التي يؤمن بها الطرف المخاصِم، وفي هذا الموقف نزوع إلى الكرامة شرط ألّا نُضيّع طرفَ الخيط بأوهام حقوق الإنسان بمقاولاتها المُعلَنة، وأطبّاء بلا حدود في مكان، وتغيُّبهم المقصود بعيداً عن أسرّة الأمواج، ووسائد شواطئ الموت، فتيقّنْ من أنّ رفض التبعيّة عمليّةٌ عقليّة تضيء منعطفات أطفِئت مصابيحُ إنارتها بالتوارث، وغدا محظوراً حتى الهَمْس بها إلّا إذا كان احتيالاً، ونتاج مطابخ ربيع أزهرت ورودُه بدماء من حُرِّروا من أرواحهم بحجّة الحريّة.

ويحذِّر الكاتب من كارثيّة التبعيّة الثقافيّة، لأنّها تتداخل بالطباع، فتصير دائمةَ التأثير، وأهدافها لا تكون مضمونةً إلّا بالبيئات التي ترفدها الجموع المُغيَّبة بالأوهام، وأنصح بقراءة (مذكّرات مستر همفر M.Hempher الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلاميّة).

وفي ظلّ ما نراه من حرق بلدان، وتدمير أخرى، وتخليق مجموعات عبثيّة السلوك، وغرائزيّة الاستلحاق، تتلفّت النفوس صوب الأمم المتّحدة باعتبارها مُخلِّصاً، لكنّ خيبة الأمل تكون مُفجعةً، عندما تكتشف أنّها محظيّةُ المتبوعين.

ويرى الكاتب التبعيّة صغرى وكبرى؛ أمّا الصغرى فتظهر برؤوس اقتصاديّة أو عسكريّة، أو معارضات للإيجار خارج المفاهيم الأخلاقيّة، ويرى في الغزو العسكريّ، والهيمنة الاقتصاديّة أهمّ عاملين للتبعيّة الصغرى.

أمّا التبعيّة الكبرى فهي معادل الغزو الثقافيّ، وكي نكون قادرين على ولوج العصر، ورفع راية الحداثة، لا بدّ من الحفاظ على مخزوننا الثقافيّ، وإسهاماتنا الحضاريّة التي نراها تُدمَّر وبإشراف العالم المُتقدِّم وتخطيطه، فالتابع أو من يُراد له أن يكون تابعاً يمتلك بإرثه الحضاريّ وسائل صفع المتبوع الذي عَيْنُه على انتقاص السيادة وانتهاك الأوطان، تساعده مجموعات لمّا تتحرّرْ من عقليّة الثأر.

والقصف الثقافيّ تؤازره وسائل التكنولوجيا، وجاذبيّة العولمة تحدث شرخاً في رؤى الناس وقناعاتهم، لذلك يجب استنفار وسائل التصدّي وأوّلها وربّما أهمّها العامل اللغويّ، دون التفريط أو التهاون في الاكتفاء الذاتيّ على صعيد الأمن الغذائيّ.

فالدول المتبوعة لا تجد حَرَجاً في التخلّي عن تابعيها عندما تريد أن تبدّل ثوبها، مُجترحة طرائق استتباع جديدة، فالقوى العظمى كما يقول الكاتب (تحتاج إلى توابع أُجريت لهم عمليّات إخصاء فكر وكرامة، واستئصال للغدد التي تنتج شرفاً ووطنيّة) ص٨١

وما إطلاق المُعالَجين كيميائيّاً لإقامة إمارات؛ وبأكثر الأساليب خَساسة إلّا طرائق خراب كانت مُؤجّلة، تخفّف من وِزْر المسؤوليّة الأخلاقيّة، وتوفير نزف دماء وأرواح مُجنّديهم، وبهذا تنتقل المؤامرة من حدّها المستور إلى العلن، لذلك نلحظ في سوق الاستلحاق تنافس الأقوياء في استتباع الضعفاء، في وقت كان فيه خجولاً حين تلطّى المستشرقون وراء أهداف وهميّة - وظاهرة الاستشراق برأي إدوارد سعيد أداة من أدوات الاستعمار لاستغلال الشعوب - جذبت إليها المريدين، لذلك لا بدّ من عقلٍ وعاقلين، فالتابع كائنٌ إلحاقيّ يتلاشى بغياب المتبوع.

وما يثير الدهشة تبعيّة خالعي قميص الإيديولوجيا من مُثقّفي أقصى اليسار الذين يدهشوننا بانتقالاتهم مُؤكّدين تلاقي خطّي المؤامرة المتوازيين!!

ولقد تشبّعوا بتبعيّة إراديّة لنُظَرائهم من الغربيّين! وبذلك تتناسل الأزمات لأنّ من يديرها مثقّفون مأزومون،

وثقافة الغرب مُوظّفة بقوانينها ومنظّماتها لترسيخ الهيمنة الغربيّة، ولا تعجزهم عمليّات تجميل القبح، وجراءة السّحق كي تبقى قلوب الرافضين على مقلب الشعوب ترتجف رعباً فـ (معايير الغرب هي التي تُفْرَضُ على الشعوب، ومن يخالف يلقى مصير العراق وأفغانستان وليبيا، فإنّ هذا يشي بعنصريّة غربية تستبدل عنصريّة يدّعي الغرب الحرب عليها. ويقع في الذروة من ذلك ما تفعله إسرائيل وحماية الغرب لها) ص١٨١

ومع ذلك نرى تدافعاً غرائبيّاً للانضواء في صفوف التابعين على الرغم من أنّ أذى المتبوع يطول المُتمرّد والتابع معاً.

ومن كلّ ما تقدّم تَوَضّحَ لنا أنّ التبعيّة إلغاء، فتدمير وطن لتمرير أكذوبة، لا يكون إلّا خارج متن الديمقراطيّة، مهما زيّنت المنابر الربيعَ العربيّ، لذلك ولكي نتحرّر من لعنة التبعيّة لا بدّ من تضحيات، فالحياة وقفة عزّ، والثورات لا تكون انفعاليّة بل تخطُّ بدائلها في كتاب الحياة كي يوقّع عليه الطامحون إلى المستقبل بدمائهم وإيمانهم بمجتمع العدالة الحقيقيّة، وقد نوّه الكاتب بإظهار أسباب تردّي وتراجع الفكر العربيّ برأي المفكّر زكي نجيب محمود إلى إسقاط مفاعيل القانون بالكرامات الشخصيّة. مؤكّداً على (أنّ إشاعة العدل بين الناس بضمانة القوانين، تخلق الفرد المسؤول والمتحرّر من الخوف والظلم والانتهاك، وبذا تتحرّر شخصيّته من التبعيّة لمن يطلب الحماية منهم) ص٢٢٩ كيلا يكون المُؤتمَن على نزاهة القانون خَصْماً وحَكَماً، فالعدل ضمانة الجرأة، وتجييش الأحرار، والاندفاع بقامات تموت واقفة تحت سقف قانونٍ عادلٍ ومنصف بانتقالنا إلى ضفّةٍ نتناسى فيها جلد الذات، مُصدِّقين حياة يحفُّها الأمل، وعقيدة يحدّد مسارها التنوير، وتشتعل معها القلوب بحبّ الوطن والإنسان.

وفي الفصل الأخير من الكتاب الذي وضع له عنوان « السوريُّون والصراع على سوريّة » فمن البَدَيهيّات التي تتحكّم بها حتى الغريزة مسألة الدفاع عن الأوطان، وسوريّة التي كانت ولا تزال في مرمى الأطماع، وتكسير كبرياء من صاغ أجدادهم للبشريّة أبجديتها الأولى، وتحطيم معابد من لا تزال حضارتهم قصيدةً على وتر الصحراء، لذلك نرى حشود المتسلّحين بالصواريخ، وأوهام الحوريّات، على أبواب سورية، - وسوى الروم خلف ظهرك روم - .

فاختلاط الرؤى والمفاهيم يُذكّر بنهر الجنون، لكنّ طائر الفينيق يصفّق بأجنحة سورية المُوحّدة.

ويطلق الكاتب صرخة غضب بعد نهر الرماد، وحرائق الضغائن، وموت المصادفة مُتمنّياً على شرفاء العالم وأوطاننا خاصّةً أن يملؤوا قلوبهم وعقولهم بالحقد على السياسة الغربيّة انطلاقاً للخروج من التبعيّة.

وبهذا يكون الكاتب قد حاصر التبعيّة بمفاهيمها ومعاييرها وآفاقها فاتحاً طريقاً للخروج منها، والتخلُّص من تبعاتها، بعدما غدت مسألةً اعتياديّة، إلى حدّ تواءمت فيه الأدوار، فلم تعد سُبّةً بفعل تسويق الفضائيّات إيّاها التي يرى إعلاميُّوها في التهريج اختراقاً، وخوفٍ أن يكون ذلك إيذاناً بما هو أعظم!!

اسمي المسافر في أسئلة الطرائد

بادر سيف - شاعر جزائري

يجئ من لامكان يدخل مسبحة النور
يسأل عن أفق مهاجر، عن طير النهايات
يستعير من ضمائر الحلكة
لحاف الخلق
يرمي الى مريديه نوافذ الورق وأجنحة طائشة
يلمع إجابات السلالم المنهمكة والتراب
يجئ مع ليل الأشرعة
باكياً
حاملاً نهارات المحارب
يكفر الشجر المتراص في تواشيح الثقوب
و في النهار يشكّل من عطالة الغربة
أضرحة تعانق الرياح
إنها الأسماء تخدش أبجدية
الفضاء
تلسع طفولة الجبال
تناجي مرابع الخرير و متاريس اللذة
..يشكو ثعث السفر بأسماء التنافر
طرائد الغمام
يعزف لرغيف النسائم صواغ الأحشاء
وحده المطارد في مدارات الغموض
يسبح في حاجة الحصى للحصون
يقلب الوقت على كفّ البعث
متسكعاً في ذبول الفجاءة
يرسم بوردة العشق ملاذه الآمن
يهفو إلى عطش الصفات
سيف لحضارة الأيام
يوثق بالوضوح غرائز الظلمات
ينسج من تلف الحقائق وحدته والانهزام
عبث يلعق محافرالجثث
وكانت الأسماء أسئلة من توهج الكحل و الخيال

كتب يعشش فيها فرح المحكومين
بأبدية في الكون
و من شدّة العظمة عظمة الدنو و المسير
كسر زند النسيان
اقتفى اثر الغياب
رئة الموت و مخلب السحاب
ركل مسامع الشقائق إلى متح القدر
ثم بكى و تاب
كتب على وسادة الحلم وصية الهضاب
يجئ مع الرعد المكشر الساكن وظائف الشعور
تتلمذ على يد الشمس الباسمة
هجر الشخوص و الألقاب
أفق العواصف اللاهية بجذر الختل المنثور
شرع نوافذ للغاب
بنى سجناً فسيحاً لحضرة القبور
حمل طيشه بكفة الرهاب
خلخل الرمال و العقول و التراب
قال : سبحانك ربي أنا المغمور
أقيم مواسم للعشق ، أشرعة لليل
لطافة السحاب
أصيرعربة للكون يجرها هجر الموائد
المقيمة في ضفة الصوامع
والدفاتر المنزوية في مصبرالبوادي.

وتر الكلام

حين عاد

سعاد زاهر

قبل المساء بقليل ...أوصدت الأبواب
أنهت آخر رشفة من قهوة المساء
تستمتع بآخر الأغنيات
وتعبر إليها كل الذكريات
أضحت أسيرة تلك الكلمات
قالتها داليدا ومضت
لتعبر عن اشتياق كل العشاق
وتبعتها فابيان لتجدد الآهات
هل كان في عصرهم...
حب ولوعة واشتياق...؟
لعلهم بنوا جسراً
لنعبر فوق الخيبة واليأس والانحناء
عل يوماً نسير إليه نرتوي فعلاً كعشاق
ننسى الخيبات
ونفتح أبوابنا للرياح
تبعثرنا على وقع الأغنيات
لا نرضى إلا بكل النغمات
علها تفتح شراع الروح
وترمينا في انعتاقات الحنين
حين سمعت طرقاته خفيفة على الباب
علا صوت اديث بياف
عن حياة وردية هي الصورة الحقيقية للحياة
هالها اصفرار وجهه وانحناء ظهره
كأنه عائد من أهم المعارك
ألم يعد من أقسى الخيانات
وتعكرت بعدها
صفو الأيام ..رافضة الانتحاب
تنأى عن ذاتها بعيدة
كأنها لا تفهم
وتستمر الأمنيات،لا تقوى على العراك
وكأنها فقدت الروح
دون أن تخفي حنينا لما فات
منكسرا كأنه يحمل على ظهره صخرة
ملتويا كأن سهما انغرس
عيناه ذابلتان..
تحاصره عيون بعض النساء
اللواتي رفضن الإفلات
معتقدين أنه كنزهم وانتصارهم
يا لخيبة اللقى والاحتمالات
لا يدركن كم الإهانات
لا يفهمن الدرس
ويلتفتن إلى ما فات
ناسين أن معجزة الحب أنه
لا يقبل القسمة ولا الاجتزاء...!

نعمان حرب...
وقبساته من الأدب المهجري

أحمد بوبس

في بلدنا الكثير من الكتاب الذين قدّموا للأدب خدمات جُلّى، طواهم النسيان ولم يعد يذكرهم أحد.. واليوم سوف أتوقف عند واحد من هؤلاء، لا كما يقولون الجنود المجهولين، بل مع واحد من الأبطال المجهولين في عالم الأدب، ذلكم هو نعمان حرب.

ورغم أن نعمان حرب أصدر الكثير من الكتب في مواضيع مختلفة، إلا أنني سأتوقف الآن مع سلسلة إصداراته الهامة عن الأدباء السوريين في المهجر الأميركي، لأنني عرفته وعايشته خلال إصدارها، وكتبت عن جميع إصداراته في في جريدة (الثورة).. ويعود الفضل في تعريفي به إلى الأستاذ مدحة عكاش، وكنت ألتقيه في مكتب مجلة الثقافة، وتوطدت العلاقة بيننا إلى صداقة، أفدت أنا منها كثيراً على الصعيد الأدبي.

وعلى الرغم من أن نعمان حرب لم ينل حظاً كبيراً من التعليم، فتوقفت دراسته بعد نيله الشهادة الإعدادية، لأنه لم يكن في مدينة السويداء مدرسة ثانوية وقتها.. فهو من مواليد قرية المجيمر التابعة للسويداء عام ١٩١٤. لكنه عوض نقص دراسته النظامية بالقراءة، فأكب على الكتب ينهل منها المعرفة، حتى امتلك صهوة الكلمة كاتباً وصحفياً.

عمل في بداية حياته العملية معلماً في المرحلة الابتدائية، ثم انتقل إلى محافظة السويداء بوظيفة مُنشئ رئيسي، ثم إلى العدلية، ليتقاعد من العمل الوظيفي عام ١٩٦٧.

في عام ١٩٤٥ أصدر مع شقيقه نجيب حرب جريدة (الجبل) في السويداء، وكتب فيها الكثير من المقالات التي كان يحرض فيها على مقاومة الاستعمار الفرنسي، ويثير همم المواطنين ضدهم.. كما كتب مقالات عن الأبطال الذين استشهدوا خلال مرحلة النضال ضد الاحتلال الفرنسي، ثم قام بإصدار سلسلة كتيبات لعنوان (أبطال منسيون) عن هؤلاء الشهداء الذين شاركوا في الثورة السورية الكبرى ما بين عامي (١٩٢٥ و ١٩٢٧)، فخصص لكل شهيد كتيب من السلسلة، تحدث فيها عن مولده وبطولاته ضد المستعمر واستشهاده.. ومن المناضلين الذين تناولهم في كتيباته مصطفى الأطرش، شهاب غزالة، سليمان العقباني، صالح القضماني، محمود أبو يحيى.. وكان في نيته إصدار كتيبات عن المزيد من المجاهدين، لكن الزمن لم يسعفه، فرحل قبل إنجازها.

أولى نعمان حرب الأدب المهجري اهتماماً خاصاً، فقرر إصدار مجموعة من الكتب عن شعراء المهجر لتعريف الوطن الأم بهم.. وفي سبيل ذلك قام عام ١٩٧٩ بجولة في فنزويلا والبرازيل، بدعوة من الشاعر فارس بطرس، وهو من مواطني محافظة السويداء، وفي مدينة سان باولو، وهي من كبريات المدن في البرازيل، التقى فيها عدداً من أعضاء (عصبة الأدب العربي) التي تضمّ بين جناحيها الأدباء والكتاب والشعراء، منهم نواف حردان، نبيه سلامة، شفيق عبد الخالق، شكيب تقيّ الدين، فارس بطرس، إبراهيم سلمان، خليل العقدي، حسن عسّاف، أحمد القادري، محمد حسين حسين، أسعد زيدان، انجال عون، محمد الحنيني، ميشال يازجي، أنطون لاذقاني، فيليب مسلم، نجيب العسراوي، محمد ناصر، وغيرهم كثيرون، وتوثّقت روابط المحبة بينه وبينهم، فكان يرى هؤلاء سفراء أبراراً للعروبة، يستحقون كلّ تقدير ومحبة وإخلاص من كلّ مواطن عربي.. إنّهم من حملة الأقلام، ومن أرباب الفكر، ومن ذوي المواهب الشعرية.

وأقام معهم صلات وثيقة، وحصل على نتاجاتهم ومسيراتهم الأدبية.. وعاد بها إلى السويداء لتكون بداية إصداراته الأدبية عنهم التي حملت عنوان (قبسات من الأدب المهجري).. وفي عام ١٩٨٦ قام بجولة ثانية في المغترب بأميركا الجنوبية، وتابع لقاءاته مع الأدباء هناك، وجمع المزيد من نتاجاتهم الأدبية.

بعد جولته الأولى شرع نعمان حرب بإصدار كتب سلسلته (قبسات من الأدب المهجري)، وتعاون في ذلك مع الأديب مدحة عكاش الذي أصدر هذه السلسلة عن دار مجلة الثقافة التي يملكها ويديرها.. وفي مطلع الثمانينيات تعرفت عند الأستاذ مدحة على الأديب نعمان حرب، وشرعت أتابع إصداراته وأكتب عنها، وعرفني وقتها نعمان حرب على الأديب المغترب عبد اللطيف يونس في إحدى زياراته لدمشق، وأجريت وقتها معه حواراً صحفياً لجريدة (الثورة).

أما الكتب التي أصدرها نعمان حرب ضمن سلسلة (قبسات من الأدب المهجري) فهي :

١- الشاعر بطرس فارس من البرازيل عام ١٩٨١.
٢- الشاعر حنا الجاسر من الأرجنتين عام ١٩٨١.
٣- الشاعر نبيه سلامة من البرازيل عام ١٩٨٢.
٤- الشاعر شفيق عبد الخالق من البرازيل عام ١٩٨٢.
٥- الكاتب نواف الحردان من البرازيل عام ١٩٨٤.
٦- الكاتبة والشاعرة أنجال عون من البرازيل عام ١٩٨٥.

وبعد جولته الثانية في المغترب الأميركي تابع إصداراته، فكانت :

٧- الشاعر شكيب تقي الدين من البرازيل عام ١٩٨٦.
٨- عام ١٩٨٧ أصدر كتابه الثامن تناول فيه أربعة وعشرين شاعراً وكاتباً وكاتبة من البرازيل وفنزويلا، وأطلق عليه (السجل الذهبي - أدباؤنا المعاصرون في البرازيل وفنزويلا).
٩- عام ١٩٨٨ أصدر كتابه التاسع عن الصحفي والأديب عبد اللطيف يونس المغترب في الأرجنتين.
١٠- الكتاب العاشر والأخير كان عن الشاعر جورج يوسف شدياق من فنزويلا عام ١٩٨٨.

وتقديراً لجهوده الكبيرة في هذا المضمار، منحته رابطة إحياء التراث العربي في استراليا أول وسام من جائزة جبران خليل جبران العالمية، كما منحتها للسبب نفسه في العامين التاليين لمدحة عكاش الذي ساهم في إصدار سلسلة القبسات، ولعبد اللطيف يونس الذي كان صلة الوصل بين نعمان حرب وأدباء المهجر.

وبذلك أدى نعمان حرب رسالته كاملة في تعريف الوطن الأم بالأدب المهجري وأعلامه.. قبل أن يرحل عام ٢٠٠٤.

«مكنة الخياطة»

صالح السودة

اعتاد الذهاب إلى بيت عمه «أحمد أبو شفيق» يومياً من أجل اللعب مع أبنائه في الدار الوسيعة، حيث كانت زوجة عمه تهتم بالأولاد وتداعبهم، وتضحك معهم، وتلبي رغباتهم في ما يحتاجون للعب، ولا تضجر منهم مهما فعلوا، هذه كانت وصية «أبو شفيق» لزوجته دائماً أن تبتسم في وجه الضيوف وتثني عليهم بالترحيب، وتحسن معاملتهم بكل طيب ومحبة، لأن أبا شفيق اكتسب هذا الأسلوب مع الناس منذ الصغر، فأحبه الكثير منهم، وأصبح مثالاً في قريته يذكر اسمه في كل مكان لأنه يملأ قلبه بالحب والمرح والفرح والابتسامة لا تفارق محياه، فاعتادت أم شفيق على هذا معه إذ أصبحت تعامل الناس كما يحب زوجها الذي يخرج من الصباح إلى عمله، ويعود بعد منتصف النهار من وظيفته التي كانت تعطيه راتباً لا يكفي مصاريف البيت ولو لعشرة أيام، لذا قررت زوجته أن تعمل في مجال الخياطة على مكنة ورثتها من والدتها مع تلك الحرفة، وبعد فترة من الزمن اشتهرت في المنطقة بعملها المتقن وحسن معاملتها حتى أصبح الناس يأتونها من كل حدب وصوب كي تخيط لهم الملابس الشعبية، وما يلزم البيت من الخياطة، وقتها كان الكثير من النسوة يجتمعن في بيت «أبو شفيق»، ويجلسن مع الخيّاطة في غرفة تتسع لأكثر من عشرة أشخاص يطلق عليها أهل القرية «المعداي» بدلاً من الصالون..، ويتحدثن عن الأفراح والأتراح، فيتسامرن ويضحكن وكأنهن من عائلة واحدة، وأم شفيق تجلس على كرسي خشبي صنع من الخيزران، ومكنة الخياطة أمامها كأنها ولد الأتان حديث الولادة إذ يتدلّى ذيله إلى الأسفل، ويلتف حول بكرة معدنية متصلة بدعاسة تحت قدم أم شفيق تدوس عليها لتحركها قياماً وقعوداً فيصدر من المكنة صوت كصوت القطار الصغير، وهو يسلك طريقه إلى مناطق متعددة المشارب والمذاهب والطوائف والأديان ليحطّ رحاله عندهم، وهم يتعايشون مع بعضهم البعض على المحبة والمودة والتعاون وطيب المعشر.

كانت قطعة القماش تحت يديّ أم شفيق تجتمع تارةً وتنفرد تارةً أخرى، وكأن الخوف تملّك منها حيث رأس الخياط الذي يخرج من فم المكنة يشبه ناب أفعى يغرس فيها، فيترك أثراً بليغاً لا يندمل، بينما كانت الخياطة تحكم تلك القطعة بهدوء وفن متقن لتصنع منها شيئاً جميلاً يتباهى أصحابه فيه أمام الآخرين، وهي تشارك الجالسات الحديث حيث المحبة والطيبة تسكن قلوبهن، والابتسامة تعلو وجوههن، فكل واحدة تأخذ دورها في أعمال الضيافة وكأنهن أصحاب البيت يعرفن كل شيء في داخله، إحداهن تصنع القهوة وأخرى تصنع الشاي أو «المتة»، وفي بعض الأحيان يجتمعن على مائدة واحدة.

بقيت تلك الصورة تتكرّر أعواماً وأعواماً حتى بدأ الهرم يتسلل إلى جسد الخيّاطة أم شفيق، ولم يعد بمقدورها تلبية حاجات الناس عدا عن ذلك أصبحت مشاغل الخياطة، والمحال التجارية تعمّ البلاد، وراح الناس يزحفون وراء ما يسمى اليوم «الموضة» القادمة من الغرب، والتي كانت بداية لتفكيك المجتمع العربي، وانحلال الأخلاقيات بين العامة، لأن مجتمعنا العربي اعتاد على الحشمة، واحترام مشاعر الآخرين منذ زمن بعيد.

لم يعد يرى تلك النسوة في دار عمّه «أبو شفيق» حتى حدثته الخياطة أم شفيق عنهن ذات يوم وهو شابٌ يافعٌ، فبدأت تسرد له حكايا عن الأيام الخالية كيف كانت المحبة تجمع الناس على قلب واحدٍ، والتعاون المشترك في السراء والضرّاء، والتفاهم الفكري والمعنوي ..

يا بني إن التي كانت تصطحب طفلها الرضيع، وعلى رأسها شال أسود هي من القرية المجاورة شمالنا، تقع بلدتها بين الصخور والكهوف لأن الجبل يحتضنها بين جناحيه المنفرجتين شرقاً وغرباً، ويعمل البعض من أهلها في المدينة، والبعض الآخر في مجال الفلاحة أمثالنا، ونشرب المياه معاً من نبع واحد، أما الجميلة ذات العينين الخضروين، والشعر الأشقر المتدلي على كتفيها فكانت تسكن جنوباً في مساكن المدينة التي تبعد عنا ما يعادل سير عشرين دقيقة في السيارة، وجذورها تعود إلى الساحل حيث بنيت ديارهم على شواطئ البحر، وكان زوجها يعمل في سلك الجيش، و«التي كانت تضع على رأسها منديلاً أبيض» هي من منطقة جبل العرب أيضاً زوجها يعمل في التجارة يتجول عبر قرانا، وعندما سمعت زوجته عن عملي اعتادت أن تأتي في كل عام مرة أو مرتين لتصنع حاجاتها من الخياطة عندي، والمرأة التي ترتدي جلباباً أسود، ونضارة طبية كانت أيضاً تأتي من العاصمة للغرض ذاته.

هكذا كان يعيش الناس في بلادنا منذ زمن بعيد، حتى جاءت النفوس المريضة لتدسّ السم بين أفراد المجتمع بالفتن والكراهية والتفرقة..، لكن اطمئن يا ولدي نحن لم نعر اهتماماً لذاك الغرض لأن أصولنا وكرامتنا لا تسمح بذلك، فنحن ما زلنا على ما نحن عليه من المحبة والتعاون والتقارب الفكري والترابط الاجتماعي، ليبقى بلدنا واحداً موحداً، لذلك مازلنا حتى اليوم على صلة مع بعضنا بعضاً، حيث دعوتهن في العام المنصرم لزفاف ابنتي فحضرن جميعاً، وبينما هو جالسٌ يسمع حديثها باهتمام بالغ فإذ بالهاتف يرنّ، رفعت أم شفيق السماعة فانفرجت أساريرها عن ابتسامة ملأت قلبها بالسرور، واحمرت وجنتاها كأنّ البدر يعلو كتفيها عندما سمعت صوت المتصلة، وراحت تُرَحب بها أجمل ترحيب.

زاوية حادة..

الشعر ماء اللغة ..

د.ح

من المعروف أن اللغة التي لا يكون فيها نصيب كبير للشعر تموت وتيبس تفقد رونقها وحيويتها التي يجب أن تبقى محتفظة بها ..

الشعر ماء اللغة واخضرارها ولم تحافظ اللغة العربية على حيويتها ورونقها إلا بالشعر ..والشعر الذي تعنيه ليس صف ورصف الكلمات كما يفعل البعض الآن و يسمونه شعراً ..

الشاعر يصقل المفردات ويعيد شحنها بطاقات ودلالات جديدة يحددها سياق الجملة الشعرية ...وكم هي المفردات التي لا نرى إنها ذات وقع وجرس دون أن تكون في سياق الإبداع الشعري.

وكان جبران خليل جبران قد أشار إلى ذلك عندما تحدث عن تجديد اللغة.

وأيضاً يقف الشاعر والمفكر أدونيس الموقف ذاته ويذكر في كتابه مقدمة للشعر العربي ما حدده أبو تمام في هذا السياق لاسيما في العلاقة الجدلية بين الجمل الشعرية..

والشاعر ليس مجدداً إذا لم يكن غيمة مثقلة بالمطر الذي هو الاطلاع وكلما أمطرت عادت لتشحن ذاتها من جديد وتروي اللغة.

نقش سوري

أحمد داوود.. مؤرخ سوري

علي حبيب

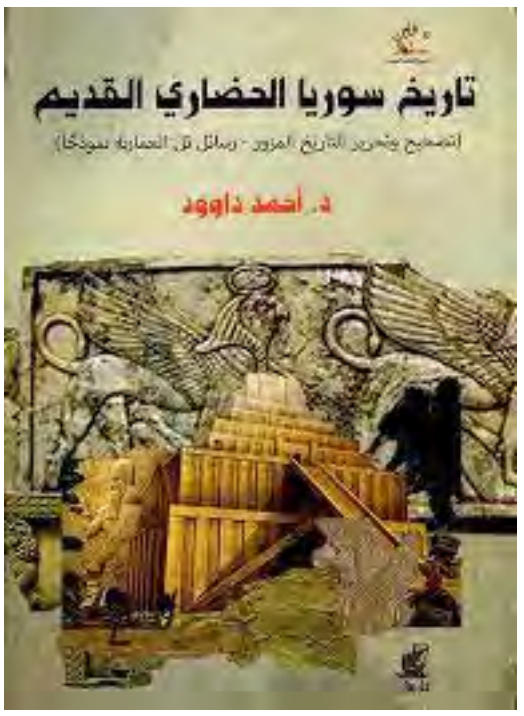

مسيرته

ولد داوود في محافظة اللاذقية عام ١٩٤٢. حصل داوود على شهادة ماجستير في الآداب، ثم على دكتوراه في السيناريو السينمائي، ودكتوراه في تاريخ سورية القديم. عمل في التدريس والصحافة، ومستشاراً ثقافياً في الخارجية السورية، وأصبح عضوَ جمعية البحوث والدراسات، وعضو اتحاد الكتاب العرب، وهو عضو شرفي في جمعية المؤرخين المغاربة. عمل داوود رئيساً للدائرة التاريخية ورئيساً لقسم الإعلام في مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية في جامعة دمشق. أحمد داوود هو أحد مؤسسي «تحالف مفكرين ضد التزوير».

آراء جدلية

يرى داوود في كتابه «تاريخ سورية القديم - تصحيح وتحرير» أن «دولة مصر وادي النيل لم تحتل سورية يوماً، بل كانت كل مواقع صراعاتها في اليمن حيث كانت خطوط التجارة محمية من قبل ممثلين عن الملك كانوا يراسلونه كتقارير عن إنجازاتهم في حماية خطوط القوافل، وهذه هي حقيقة ما دعاه المستشرقون بـ «رسائل تل العمارنة» والتي جرى تزويرها وإسقاطها قسراً على الجغرافيا السورية»يدعي داوود في كتابه «تاريخ سورية الحضاري القديم - ٢ التاريخ الحقيقي للإغريق» أن الحضارة الإغريقية تعود في أصلها إلى «السوريين العرب»، وأن «الانيادة دوّنها الكاتب السوري فرجيل (فرج الله) يتحدث فيها عن معاناة السوريين المتحضرين مع سكان الكهوف المتوحشين سكان أوروبا البدائيين»، ونسب ما وصفه بـ«معجزة الحضارة الإغريقية» في منتصف القرن السادس قبل الميلاد إلى السوريين في اليونان، وعلل «انطفاءها» بعودتهم إلى بلدهم الأم. يرى داوود أن جميع أسماء المدن والأمراء (العكروبولي) والكتاب والشعراء والمسرحيين والمحاربين لدى اليونان القديم ترجع لتسميات عربية قديمة إما توجد معانيها بالعربية الفصحى أو باللسان السرياني، وأن «كل ما يزهو به الغرب اليوم تحت مسمى وراثة حضارة أثينا من ألعاب أولمبية وديمقراطية وبرلمانات إنما هي سورية عربية قديمة، وفي مدينة عمريت الأثرية على الساحل السوري اكتشف أول ملعب أولمبي في العالم سبق اليونان بمئات السنين كما أكدت الدراسات الأثرية حديثاً».يقول داوود في كتابه «تاريخ سورية الحضاري القديم - تأسيس روما» أن «السوريين، العرب، العموريين.. تسميات مختلفة لهذا الإنسان الحضاري العاقل، هم أول من عمّر واستوطن حوض البحر المتوسط ودعي باسمهم: البحر الأموري - السوري - البحر السوري الداخلي».

مؤلفاته

الصهيل (قصة)، مطبعة الجمهورية، دمشق، ١٩٧٠.
رقصة شمس (مجموعة قصص قصيرة)، ١٩٧٣.
جلجامش أو نصف على نصف (مسرحية)، دار الجمهورية، دمشق ١٩٧٣.
حبيبتي يا حب التوت (رواية)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٧٦.
إسرائيل والصراع العربي الإسرائيلي (دراسة)، دمشق ١٩٨٦.
موسوعة نينورتا التاريخية - الجزء الأول قصة الخلق.
موسوعة نينورتا التاريخية - الجزء الثاني اللغة الأم - المجلد الأول قصة الإنسان العاقل الأول ولغته الأولى.السامية واللاسامية والساميون العرب، كتيّب، (٢٠٠٦).
الديمقراطية بين حقيقتها التاريخية وضجيج الجوقات الأطلسية، كتيّب، (٢٠٠٧).
سلسلة «سورية وعودة الزمن العربي»:
الكتاب الأول: تاريخ سورية القديم تصحيح وتحرير، دار المستقبل، سورية ١٩٨٦.
الكتاب الثاني: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩١.
الكتاب الثالث: تاريخ سورية الحضاري القديم، ١- المركز، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٤.
الكتاب الرابع: تاريخ سورية الحضاري القديم، ٢: ١- الانتشار الحضاري السوري. ب- التاريخ الحقيقي للإغريق، دار الشروق، دمشق، ٢٠٠٤.
تاريخ سورية الحضاري القديم - ٣ تأسيس روما.
تاريخ سورية الحضاري القديم ٤- إمبراطورات سوريات حكمن روما، الملكة العربية زنوبيا، الزمن البيزنطي زمن تدمير لا تعمير (طبعة أولى ٢٠٠٦، طبعة ثالثة ٢٠٢١).

ترجمات

كان هذا في ضواحي روفنو (ترجمة) ١٩٦٣.
البلدان المتخلفة وسياسة الغرب الاقتصادية (ترجمة) ١٩٦٤.
احذروا الصهيونية (ترجمة عن الروسية)، ١٩٦٨.
المادية التاريخية (ترجمة) ١٩٦٨.

أبحاث

سلسلة أبحاث تاريخية تدعى «أسماؤنا» في الصحف المحلية.
سلسلة أبحاث تاريخية تدعى «الصهيونية وتزوير التاريخ العربي».سلسلة أبحاث اجتماعية تدعى «عتباتنا الاجتماعية المقدسة».«حوار ثقافات أم حضارات، التجليات العربية».سلسلة أبحاث حول «الانتفاضة الفلسطينية والاستراتيجية».سلسلة أبحاث: «الساميون والعداء للسامية بدعة يهودية، التواطؤ الصهيوني النازي في الجرائم ضد اليهود».

أعمال مرئية

أعدّ وقدّم البرنامج التلفزيوني الثقافي التاريخي «نحن وهذا العالم» ١٩٩٧، حاوره فيه د.يحيى العريضي.
حوّلت المؤسسة العامة للسينما في سورية روايته «حبيبتي... ياحب التوت» إلى فيلم سينمائي روائي طويل عام ١٩٧٨.
وضّع قصة وسيناريو وحوار المسلسل الدرامي التاريخي التلفزيوني الطويل «جوليا دومنا» للتلفزيون العربي السوري.

الجوائز

جائزة جبران خليل جبران العلمية عام ١٩٩٩ من رابطة إحياء التراث العربي في أستراليا، تقديراً لأبحاثه حول تاريخ سورية.

صفحات من تاريخ الإلحاد

رنا بدري سلوم

صدر عن دار العراب بدمشق كتابٌ مترجمٌ يحمل عنوان :(الإلحاد في العصور الوثنية القديمة) تأليف أ.ب. دراتشمان الباحث والمدرس السابق للفلسفة الكلاسيكية في جامعة كوبنهاغن الدانماركية، وترجمة الكاتب والمترجم السوري (حامد العبد) الذي كتب في مقدّمة الترجمة العربية للكتاب: « قد لا نبالغ إذا اعتبرنا أن موضوع هذا الكتاب قلما تمّ التطرق إليه سابقاً، سواء كان ذلك في الثقافة الغربية التي تعاملت مع الإلحاد بمفهومه المعاصر المحدود فقط، أو في ثقافتنا العربية التي أزهرت وأثمرت في ظلّ تراث توحيدي، تجاوز مفهوم الآلهة منذ زمن بعيد.. ومن هنا تأتي ترجمة هذا العمل كمحاولة لتسليط الضوء على المخاض الفكري الذي عانى منه الفكر الإنساني لقرون طويلة تجاه الإيمان الوثني القديم وما حمله من تبعات ونتائج على تطوره، وذلك قبل دخوله في مرحلة الديانات التوحيدية السائدة الآن واستتباب الأمر لها».

يتكون الكتاب من مئتي صفحة من القطع المتوسط، وهو مقسم إلى تسعة فصول، بدأه الكاتب بتسليط الضوء على مفهوم إنكار الآلهة والطريقة التي كان يتم التعامل بها مع هذا المفهوم من قبل أبناء ذلك العصر، لينتقل بعد ذلك إلى دراسة بدايات النقد البسيط للمعتقدات الدينية الشعبية عند الشعب الإغريقي بشكل خاص ذلك الشعب الذي أشتهر عنه نزعته القوية للتأمل الفكري والفلسفي.

انطلق الكاتب في بحثه هذا من المذهب الطبيعي أو الأيوني (وهو مذهب أبدى الفيلسوف الإنكليزي برتراند راسل إعجابه الشديد به واعتبره أول محاولة علمية لتفسير الكون)، إذ بحث أتباع هذا المذهب عن أسباب طبيعية ليفسروا بها الكون، وقبل أي شيء أصل هذا الكون، كما عزوا الظواهر الطبيعية كالرعد والبرق لأسباب طبيعية بعيداً عن الغيبيات، كما ادعوا أن كلّ شيء تم نشوؤه من مادة أولية، أو من مزيج يضم عدة مواد أولية. وقد أورد الكاتب كمثال عن آراء أتباع هذا المذهب رأياً لأحد الطبيعيين الأوائل يدعى أناكساغوراس، وهو الذي أنشأ أول معهد للفسلفة في أثينا، وخلاصة هذا الرأي بأنه ما من شيء يأتي من العدم.

بيدَ أن النقد الأخطر الذي وجه إلى مفهوم الآلهة حسب رأي المؤلف، كان نقد الحركة السفسطائية (تلك الحركة التي يراها أعداؤها أنها تعتمد على نوع من الاستدلال يقوم على الخداع والمغالطات المنطقية)، إذ كان انتقادها مباشراً ضد الأعراف الاجتماعية، وضد المفاهيم الأخلاقية من حيث المبدأ.

ومن النظريات التي يرى الكاتب أنها حاولت أن تقدم تبريراً لوجود الآلهة، النظرية التي قدّمها السياسي كريشياس Critias الذي كان معروفاً بنزعته الرجعية أو المُحافظة، إذ طرح نظرية مفادها أن الحياة البشرية في بدايتها لم تكن تعرف أيّ نظام اجتماعي، فكانت الغلبة فيها للقوي فقط، فتبادر إلى ذهن بعض الناس فكرةَ وضع بعض القوانين التي من شأنها أن تجعل الغلبة لما هو حق وصواب وليس لما هو قوي، فكانت نتيجة هذه القوانين الامتناع عن ارتكاب المظالم ولكن بشكل علني، في حين أنها ظلت تُرتكب خفيةً، فتفتّق ذهن أحد الرجال الحكماء عن فكرة خبيثة سريّة، وهي جعل الناس يؤمنون بوجود آلهة قادرة على رؤية وسماع أي شيء يقترفه الإنسان، بل وحتى الاطلاع على سرائر نفسه ونواياه الدفينة، وذلك من أجل إبقاء البشر في حالة خوف دائم من ارتكاب المظالم.

ويورد الكاتب نظرية سياسية يمكن اعتبارها معاكسة للنظرية السابقة، تتلخص في أن ثمة قانونين في هذا الوجود، القانون الطبيعي والقانون المُصطنع، أما القانون الطبيعي فيعني أن العدالة الحقيقية تكون إلى جانب الأقوى والأقدر، إلا أن هذا القانون جرى إفساده بواسطة التشريعات والقوانين التي تمّ اختراعها من قبل الضعفاء، وهم السواد الأعظم بين الناس، وذلك من أجل تخويف الأقوياء وصدّهم عن التفوق عليهم، ووفقًا لهذة البدعة فإن الآلهة بعد موت الناس ستكافئ الضعيف وتعاقب القوي.

مع سقراط وأتباعه بشكل عام يرى الكاتب أن العلاقة ما بين الفكر الإغريقي والدين الشعبي قد دخلت مرحلة جديدة، ومن سخرية القدر في مثل هذه الظروف أن يتمّ توجيه تهمة الإلحاد لرجل مثل سقراط، بل وأن يُحكم عليه بالموت وهو الفيلسوف الذي حصر نفسه بعلم الأخلاق وترك المسائل اللاهوتية وشأنها، والذي كان يحرص دائماً على أن تكون نقطة انطلاق تعاليمه مقبولة من الناحية الشعبية، وهكذا فإن افتراضه المُسبق بوجود الآلهة كان أمراً تفرضه الضرورة عليه وقراراً لا مفرّ منه. ويرى الكاتب أنه لا يمكن تجاوز رأي أفلاطون في الإلحاد، والذي كان بمثابة حجر عثرة في وجه المروجين له، فأفلاطون الذي قدّم في بداية حياته نقداً جارحاً للمفاهيم الشعبية عن الدين، وطرح تساؤلات جادة عن أهمية وجدوى الطقوس الدينية بجميع أشكالها الموجودة حينها، اتخذ موقفاً حاداً تجاه الإلحاد وخصوصاً في أعماله الأخيرة وبعد تقدمه في العمر.

وبموجب قوانينه يجب أن يحكم بالإعدام على هؤلاء الذين يفشلون في الرجوع عن إلحادهم؛ وهذا موقف شبيه بموقف أرسطو الذي أورده في كتابه (الأخلاق): «إن الذي يثير الشكوك فيما إذا كان يجب علينا تبجيل الآلهة أم لا، هو إنسان ليس بحاجة إلى التعليم بل بحاجة إلى العقاب».

وفي الفصلين السادس والسابع يتناول الكاتب مفهوم الآلهة والتغيير الذي طرأ عليه خلال الحضارة الهلينستية وعصر الإمبراطورية الرومانية التي تبوأت صدارة العالم حينها، وبيّن استغلال السياسة الرومانية لمفهوم الآلهة خصوصاً بعد سقوط اليونان الحرة Hellas، حيث أورد مقطعاً للمؤرخ (بوليبوس) كُتب في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد عن تاريخ العالم قال فيه: «يبدو لي أن أعظم ميزة في القانون الروماني تكمن في دفاعه عن الآلهة، واعتقد أن الذي كانت بقية الشعوب الأخرى تزدريه، هو نفسه الذي وحّدَ السلطة الرومانية وأبقاها متماسكة، وأعني بذلك المعتقدات الخرافية. ولعل الكثيرين سيجدون هذا غريباً، ولكني أظن أن الرومان تصرفوا على هذا المنوال وعينهم على عامة الشعب، فلو كان من الممكن تأسيس دولة من الناس العقلاء، فعندئذ من غير الضروري اللجوء إلى مثل هذا الإجراء، ولكن نظراً لأن أيّ شعب يمكن اعتباره جمهوراً يتم التأثير فيه بسهولة، كما أنه مليء بالغرائز الإجرامية والعنف المفرط والانفعالات المهتاجة، فحينها لا شيء يمكن فعله سوى إبقاء هذه الجموع تحت رعب مبهم وغامض، كأنها حيلة سحرية أو عملية تمويه مخادع، وعلى الأرجح أننا نقوم بعمل طائش وغير مسؤول عندما نبحث في هذه الأيام عن طرق للقضاء على تلك المعتقدات».

وفي الختام ينهي دراتشمان كتابه بمراجعة تاريخية اعتبر فيها أن وثنية العصور القديمة قامت على أساس الدين البدائي للإنسان، بمعنى أنها من ناحية الأصل لها التكوين الرئيسي نفسه لأديان الشعوب البدائية، ومع ذلك فقد قطعت واجتازت مسيرة طويلة من التحول والتطور الذي حملها بعيداً جداً عن نقطة انطلاقها البدائية، و خلقت نظاماً هائلاً من الآلهة المعقدة. ومما لا شك فيه أن الفكر القديم تقدم بطريقة تجاوز فيها الدين الشعبي السائد، وهذا شيء فوق مستوى الشك، ولهذا السبب كان موقفه النقدي تجاهه، ويشكل هذا الفكر الحالة الجنينية لأي فكر متحرر أو متمرد أتى لاحقاً.

من العالم

سارتر والكتب

وفاء يونس

كتب ماريو فارغاس يوسا قائلاً عن الكتب :

أمضيت خمسة عشر يوماً في باريس، وجرياً على عاداتي القديمة، كنت أتنزّه كل صباح في حديقة الـ«لوكسمبورغ».. ذات يوم، وقعت على بائع كتب عجوز على عتبة التسعين من عمره، يرشف قهوته ويتصفح الجريدة.. كنت في الماضي أتردد عليه سعياً وراء نسخة من أحد أعداد مجلة «الأزمنة الحديثة» التي كان يُصدرها جان بول سارتر وتحفل دائماً بالمقالات الممتازة. ورغم معرفتي بعدم ميل الفرنسيين إلى التلاقي في المقاهي، فإن رغبتي في ذلك كانت جارفة.. اقتربتُ منه، وألقيتُ عليه التحيّة، وجلست إلى جانبه نتحادث.. وذكّرته بأنني كنت أتردد عليه عندما كان بائعاً للكتب، ونتجاذب أطراف الحديث قبل أن أشتري عدد تلك المجلة الذي، لسبب ما، لم أكن بعد قد قرأته.. قلت له إني سعيد جداً بلقياه، وذكّرته بأنني منذ سنوات بعيدة كنت أذهب إلى مكتبته بحثاً عن تلك العناوين لسارتر.. سارتر؟ أجابني مستغرباً، وقال: «لم يعد يقرأه أحد اليوم.. والفرنسيون يعتقدون أنه كان ستالينياً متنكراً.. يا له من إجحاف بحقه!».

ولما أخبرته بأنني خلال السنة التي انتميت فيها إلى الحزب الشيوعي، كانت مقالات سارتر هي سلاحي في مقارعة الرفاق وسبيلي دائماً لتحاشي الوقوع في الجمود العقائدي، سألني: «إذن أنت (سارتريّ) مثلي؟»، فأجبته: «بالطبع، ويؤلمني أن الفرنسيين قد انصرفوا عن قراءته.. إنه الفيلسوف الوحيد الذي تستقيم مقارنته بهايدغر في هذه المرحلة، ولست في مَعرض المبالغة على الإطلاق».

كانت مكتبة البائع العجوز تقع حيث تقوم اليوم مكتبة حديثة بديعة.. لكن نحن أتباع سارتر في تلك الحقبة التي تعود لعقود خَلَت، لم نعد نذكر من تلك المكتبة سوى أكوام الكتب والمجلات التي كنا نُقبل على شرائها برغبة ونتلذذ بقراءة ما تحمله من نصوص محفّزة وجذّابة.

تذكّر بائع الكتب تلك المرحلة، لكن من غير أن يتذكّر وجهي، وقال: «هذه البلاد أصبحت غريبة عنّي أيضاً.. هل تريد أن تعرف ما الكتب التي يقرأها الفرنسيون اليوم؟ الأدب الأيروتيكي وبعض الروايات العاطفية الخفيفة».

ودّعته في عناق متأثراً بحيويته رغم أنه كان يواظب على القهوة والتدخين كل صباح في هذه الزاوية من ميدان «سان سولبيس»، متشوقاً إلى ذلك الزمن الذي كانت فيه كتب سارتر تملأ المكتبات والمنتديات الأدبية.. هذا الميدان الجميل الذي أنعمُ بالتجول فيه كل صباح، رغم أني لم أحظَ بعد برؤية الجميلة كاترين دونوف تطلّ من شرفتها، هي التي كنت ألمحها من حين لآخر عابرة في شوارع هذا الحي الأثير من باريس.

يبدو، استناداً إلى ما سمعته، أنهم قلة ضئيلة هؤلاء الذين يُقبلون على قراءة سارتر هذه الأيام، لكن لا أعتقد أنه قد أصبح في طي النسيان.. أذكر أنني على الصعيد الشخصي، وبعد أن قرأت في مقابلة معه أنه وجّه انتقادات شديدة إلى اثنين من الرواة الأفريقيين، ونصحهما بالتخلي عن كتابة الأدب إلى أن تقوم ثورة ومنها بلدٌ صالح للأدب، قررت الابتعاد عنه بعد أن ضقتُ ذرعاً بإرهاصاته العقائدية وتناقضاته الكثيرة.. لكن ما سمعته على لسان بائع الكتب العجوز من أن قرّاءه اليوم أصبحوا قلّة، أثار عندي بعض الحنين إلى ذلك الزمن الغابر، وقطعت على نفسي عهداً بإعادة قراءة واحد من بحوثه الباهرة التي لطالما كنت أتمتع بمطالعتها وتغمرني بنشوة فكرية عارمة.

على يقين أنا بأن سارتر، بغضّ النظر عن التباساته العقائدية التي كانت تثير الحيرة بين المعجبين بفكره، كان فيلسوفاً كبيراً، وربما الوحيد في مصافّ كبار الفلاسفة الألمان، وأنه بعد مرور الزمن وانطفاء الجدل الذي كان يثيره، سيتجلّى ذلك بوضوح لمن يُقبل على قراءته من غير أفكار مسبقة.

باريس سبعينات القرن الماضي عندما كنّا فقراء ومشدوهين أمام أبحاثه وأشعاره ومسرحه، لم تعد موجودة.. الفرنسيون ما زالوا يُقبلون بنهم على قراءة الشعر والرواية والبحوث، رغم أن الطبقة الحاكمة لم تعد ثورية بعد أن استكانت في ما هي عليه.. وخلال هذه الفترة التي أمضيتها في باريس، شاهدت عروضاً فنية رائعة، وقرأت بضعة كتب سأحتاج لأسابيع كثيرة كي أستوعبها، فضلاً عن بعض البحوث التي أُعيدَ نشرها بفضل ابنة سارتر التي أخذت على عاتقها استعادة نظرياته التي كانت مبعثرة ومخفية هنا وهناك.. ومن هذه البحوث تلك المجموعة الرائعة التي كتبها سارتر عندما كان يؤدي خدمته العسكرية في أقاصي مقاطعة «ألزاس»، وفيها نقعُ على أفكاره حول الجيش والنساء وتوقه إلى الأدب والفلسفة، يسردها بأسلوب شائق ومقنع.. ومنها أيضاً المجلدان اللذان سئم سارتر من كتابتهما حول نظريات «تاين» وحواراته مع هايدغر، وحيث تتجلّى براعته عندما كان يتأرجح في مفاضلته بين الفلسفة والأدب.. لا شك في أنه تألق أديباً وفيلسوفاً، رغم القلق الشديد الذي كان يعيشه في التجاذب بين الاثنين، حيث إن فكره كان يحيط بهما معاً، وهو من الأمثلة النادرة على التميّز في كليهما.

أجد صعوبة في القبول بنظرية بائع الكتب العجوز أن أحداً لم يعد يقرأ سارتر في هذه الأيام.. هذا ليس ممكناً.. إنه أحد كبار المفكرين الذين أنبتتهم فرنسا، كما يتبيّن من رواياته وبحوثه التي كان فيها متفرّداً وخارجاً عن المألوف من التقاليد الفكرية والأدبية.. كانت بعض مبادراته عصيّة على المتابعة، مثل تلك الخطبة التي ألقاها في العمّال على أبواب مصانع «رونو» للسيارات، وما شابهها من تجاوزات.. بعض خصومه الأشدّاء، مثل ريمون آرون وجان فرنسوا روفيل، أقرّوا بأنه كان المميّز والأبرز في جيله، وأن الوقت قد أزف الآن للفصل بين نصوصه الرصينة وتصرفاته التي رافقت مسيرته السياسية.. لا يوجد حتى الآن أي بحث حول نتاجه الأدبي، لكنّ رواياته وقصصه لاقت رواجاً واسعاً واهتماماً كبيراً قلّما حظي به غيره من الكتّاب والمفكرين.. كما أن بحوثه الفلسفية أبهرت أولئك الذين انكبّوا على قراءتها والتبحّر فيها.

وفي الوقت الذي أتفكّر في كل ذلك، يدفعني المطر الذي كان يرافق كل صباحاتي في باريس إلى المنزل لقراءة الصحف التي ما زالت من المتع التي تهدينا إياها هذه المدينة كل يوم.. لن أجد فيها تلك النصوص التي كانت تضرم فينا الغضب ضد تلك الفكرة أو تشعل حماسنا لأخرى، علماً بأني كنت من المواظبين على قراءة جريدة «لوموند» وأشتري سراً «لوفيغارو» مرة في الأسبوع لقراءة مقالة ريمون آرون.. لن تكون في مستوى تلك المقالات، لكنها دائماً تحفل بالآراء التي تجذبنا أو ننفر منها، لأن الصحافة في فرنسا تكاد تكون في مستوى أدبها.

صالح هواري وأدب الأطفال

عبير عبد اللطيف البحش

إنّه عالمٌ آخر مختلفٌ تماماً عن العالم.. جزءٌ من مدينة خيالية.. رسمها مبدعٌ حالم.. لا كذب ولا نفاق، فهذا عالمٌ طفوليٌّ بامتياز.

هذا العالم هو الأجدر أن نقدّم له النّصوص ونكتب له الشّعر؛ فالطّفلُ هو الأقدرُ على تذوّق هذه القصائد البيضاء، وهو الأقدر على تمييز الأجمل.

قليلة هي الكتابات التي استطاعت أن ترقى لمستوى أناقة هذا العالم؛وقلّةٌ هم الشعراء الذين خاضوا غمار التجربة..وتسلّلوا إلى الداخل؛لسبرأغوار الطفل والتحدث عنه والكتابة له بلغته البسيطة، التي تبحر في زورق من خيال شراعه الموسيقا التي تنقلنا إلى عالم من الأغنيات؛ إنه الشاعر صالح هواري شاعرٌعربيٌ فلسطينيُ الجنسيّة والمولد... سوريّ المنشأ.. وبما أنّه قضى سنوات عمره ملتزماً قضايا وطنه نازفاً جراحات شعبه، فقد جاءت قصائدُه كشجر الزيتون تشبُّثاً بالأرض.. جاءت قصائده لترسم لنا ملامحَ فلسطين الحلوة.. إلا أنه ومن وعيه بأهمية الطفولة.. وأنّ هؤلاء الصغارهم أمل أمّتنا ومستقبلها، لم يبخل بكلمات جاءت كقرص العسل تمد يدها لنسافر معها في قطار من الفرح.. ولأنّه معلّمٌ منذ البداية فإن ظلال المربي ترتسم أفكاراً تربويةً حاذقة بين سطوره وفي ثنايا كلماته فها هو بروح الأب والمعلم يشكّل تلك العجينة لتصبحَ آيةً من آيات الحب وتتغلغل في نفوس ملائكتنا الصغار؛ حاملةً لهم رسائل شتّى بدأها برسالة حبٍّ للوطن حين قال:

بلادنا أحلى بلاد بالروح تُفدى والفؤاد
نحبها وحبها كل نهار في ازدياد
بلادنا أغلى بلاد

أمّا من ناحية البناء الفني للقصيدة فإنّ شاعرنا استخدم الأوزان القصيرة والبحور الغنائية التي تلائم الطفل؛
كما أنه اختار قافية سهلة وحرص على سكونها ليتسنى للأطفال حفظها بسهولة فالقافية الساكنة أرسخ في ذاكرة الطفل.. أما كلماته فقد أتت بسيطة مأنوسة وخفيفة؛ شكّلت بعداً فنيّاً رائعاً كما في قصيدة الدّيك والكنار:

ذات يوم يا صغار غار ديكٌ من كنارٍ
ذاك يعلو ويطير وهو في الخم أسير
نفش الريش وقال: ادنُ مني وتعال

ما أحلى هذه الكلمات القريبة من الواقع المتداولة في الوسط الطفولي .. لكنّ ذوق الشاعر الفني قد تدخّل في اختيارها؛ إضافة إلى براعته اللّغوية لتوظيف السّهل الممتنع.. فتلك السهولة ترتدي ثياب الصنعة.. فتأتي الكلمات والعبارات واضحة.. بسيطة جداً جداً.. ما يقربها إلى أذهان التلاميذ ويحفظونها حفظاً سريعاً.. كل ذلك يدل على قدرة الشاعر على التعامل مع اللغة.. هناك شعراءيستخدمون لغة الكبار للأطفال ما يبعد القصيدة عن الطفل.. أما هذه المفردات الطفولية فقد أطلت علينا من هذه القصائد بأبهى الصور!!.

ثم تأتي رسالته الثانية وما أحوجنا بعد سنوات الحرب إلى رسالة حبّ تحمل وردة وتغرس أملاً وسعادةً.. هاهي كلماته تأتي كنبتةٍ فاصولياء سحرية تخترق الغيم ونصعد معها إلى أعلى سماء في قصيدة الحبُ عطاء.حيث يقول:

ما أجمل أن نحيا سعداء لا حقد يسود ولا بغضاء
أزهار الخير تظللنا في دنيا تغمرها الأضواء
للخير نعمر أعشاشاً ونرد عن الكون الظلماء
نزرع ورداً نشعل شمعاً نعطي نعطي فالحب عطاء
من نفس الطين تشكلنا وتكونا من نفس الماء
مابين غنيّ وفقير لا فرق فكلّ الناس سواء

كلماته تمدُّ رأسها لتطلّ أنيقة مرهفة.. تليق بذكاء الطفل؛ وتحترم عقله الواعي، فنرى أمامنا لوحةً فنيةً منمقة ترفل بأروع الصور

الشّمس أطلّت في يدها سلّة
تتمايل فوق الأرض المحتلّة
من دم هذا الطّفل تغزل وردة
من دم ذاك الشّبل تقطف فلة

نعم إنها ريشة في يد مبدع ترسم للأطفال عالمهم وتلوّنه بالضّوء كما في قصيدة أصابع الشمس:

أصابع الشمس خيوطها مغزل
أرخت على الأبواب وشاحها المخمل

فقد وظّف الاستعارة هنا ليفتح للأطفال نافذة الخيال... ولأنه شاعر أصيل نراه منصاعاً للقصيدة العربية في جوهرها حتى لو ركب موجة التجديد والحداثة.. فها هو يستخدم التصريع في معظم القصائد.. فتزيد القصيدة بهاءً وموسيقا كمافي قوله إذ يخاطب عامل الكهرباء:

هلا هلا ومرحبا بعامل الكهربا
يسعى إلى رزقه يعمل حتى يكسبا

كانت ورداً

علم عبد اللطيف

وكانت ورداً... تخطر في الدليل
وجاء بها الربيع.... إلى الفصول
فقولي إن تشي..... أو لا تقولي
لقد كان الربيع إذن..... نزيلي
هي النعمى أطلّت من خباها
وبالنوّار..... سارت مع رؤاها
تنفّس حرفها صبحاً.... وتاها
تخيّر شعرَها أبداً..... فتاها
وسار به على الدرب الطويل
وجاءت كالصباح تَميسُ صبحا
ومن خلف الجفون.. تهزّ رمحا
سَقَتْ من مائها في الحقل قمحا
فأينع سوقُه فطرا..وأضحى
وقالت من مثيلي في الفصول
ومن زهرالفصول ومن سناها

تهادت تجتلي فيها رؤاها
عدا فيها الربيع وقد جلاها
عروساً من غرير الشعر... تاها
وباركها ...وبشّر بالوصولِ
ستختار الدروب لنا دروبا
ونسكب في تلاقيها طيوبا
ونوشك في التخاطر أن نذوبا
كصبح يستبيح بنا غروبا
ويكتبُنا على خد الأصيل
وعادت تزدهي والثوبُ أخضر
وخضرة وجهها عشبٌ.. وأكثر
وقالت إن غدوتَ فسوف تخسر
أنا ما زلتُ في النبضات أذكُر
قدومَكَ عندما ألغى رحيلي
وقالت للنجوم نذرتُ بوحا

وللقمر الكئيب..... سفحتُ روحا
فكانت في نوازفها جروحا
تشاكسني وتأبى أن تُبيحا
مغادرتي إلى المنفى البديل
وجاء بها الربيع وقد أثارا
بريقاً...لفّ قامتَها إزارا
وأشعلَ في المباسم جلّنارا
وبارك إذ كسا الخدين نارا
صباحاً سالَ من خدٍّ أسيل
وفي ظلٍّ ومنتجع قريبِ
وجدتُ تساؤلي فيه مُجيبي
خذي يانفس من حلمي وثوبي
مباركةً ...إلى وجه الحبيب
ففيه الوعد آذَنَ.. بالهطول

انتشلني

ناهد إبراهيم

انتشلني من ضياعي من شجوني
واملأ الدنيا شموسا في عيوني
إن بعض العشق إثم إن أثمنا
والهوى يحتاج ثوبا من جنون
أنا طير في سماء الشعر أحيا
لا أحب العيش في قيد السكون
ريشتي حرف وإيحاء كلام
سائح فوق عمايات الظنون
عمرنا ليل توالى ونهار
ماعلينا منه من بعض المجون
لاتلمني ان درب الحب شوك
واشتياق كيف يخلو من شجون
لاتقل كيف وكان الحب بل قل
فلتكوني للهوى أو لا تكوني

كسندباد ....

سهير زغبور

أبحرت روحي كثيراً من الوقت ...
لا أدري كم ..مر ..منه ....
لكنني أعرف انني جبتُ ..الحزن والفرح
اليأس والأمل ..
الضعف والقوة ...
الخذلان وجبر الخاطر ....
العتمة والضوء .....
بدون مجداف ...
كانت يدي تحمل الموج ...
ترفعني وتهبط بي .....
وأنا على قلبي أعوم .....
خبرتُ الموت حتى اقاصي الحياة .....
ورسوت عندك ....
امرأة من ماء .....
كلما غرفتَ من حبها ..نبتت فوق كفك غيمة ...
وأمطرت من جديد ....
فكنت أنت آخر المطاف
ويكفيني .....

كم كنا حمقى

أسمهان أحمد أحمد

كم كنا حمقى
وقعنا في كمين الأيام
ونحن
نلوح للمساءات الباردة
بلعبتنا الخشبية
وثيابنا المتسخة بالطين
لا تخيفنا الأخبار العاجلة
ولا نشرة جوية تشد انتباهنا
ولا مذيع في الراديو يلفت سمعنا
نخشى على الدجاج من الذبح
أكثر من البشر
لأننا لا نصدق
لحمنا يباع على الطريقة الإسلامية
قلقين على أحوالنا
عند قدوم موجة شتاء باردة
أو موجة حر شديدة
نخشى الزكام وانسداد أنوفنا
لأنها كانت بالنسبة لنا
أنباء غير سارة
ثم كبرنا ووقعنا في فخ أكبر
تدربنا على الحزن
والبكاء بصمت
ويأس نحمله على أكتافنا
لا نعرف إلى أين تأخذنا المتاهة
نمشي ونردد سيزول
سيزول
سيزول
وإن وقفنا، صفعونا كف
كنا لا نعرف عن الفراق
والفقد
والوجع شيء
كنا حمقى صغارًا
أصعب انتظار يمر بنا
هو موسم أشجار اللوز
والجوز والتين
وقعنا في كمين الأيام
ووصلنا لمرحلة العجز
العجز !
هو أصعب شعور يمكن أن
يعيشه الإنسان
فلا يعرف كيف يتقدم،
ولا يعرف كيف يتراجع،
ولا يعرف كيف يصمد؛
أمام هذا الضياع.